

١٥

مكتبة  
مكتبة  
مكتبة

# حَقِيرِيَّةُ بَيْتِ الْحَرَامِ

الرَّسُولُ ﷺ يُصَاهِرُ الْيَهُودَ

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

بريشة : ا. عبد الشافي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى

دار النشر : دار النشر : دار النشر



لو أردنا أن نضرب المثل على إنسانية الرسول ﷺ وعظمة أخلاقه ، لوجدنا مئات القصص والمواقف التي تبرهن على ذلك ، على أن قصة زواج الرسول ﷺ من جويرية بنت الحارث اليهودية الأصل ، تعد من أفضل النماذج ، التي تؤكد على عظمة هذا الرسول ﷺ وسمو أخلاقه ، حيث أثبت بهذا الزواج ، أن نفسه لا تعرف الانتقام أو الحقد ، بل تدعو إلى التسامح والحب والسلام ..

فها هو ذا ﷺ يتزوج جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق ، الذي قاد جموع اليهود ، وتآمر معهم على قتل محمد ﷺ مهما كان الثمن .. ولم يقابل الرسول ﷺ هذا الصنيع بما يستحقه ، بل ضرب المثل في السماحة والعفو .. ولنبدأ القصة إذن من بدايتها .

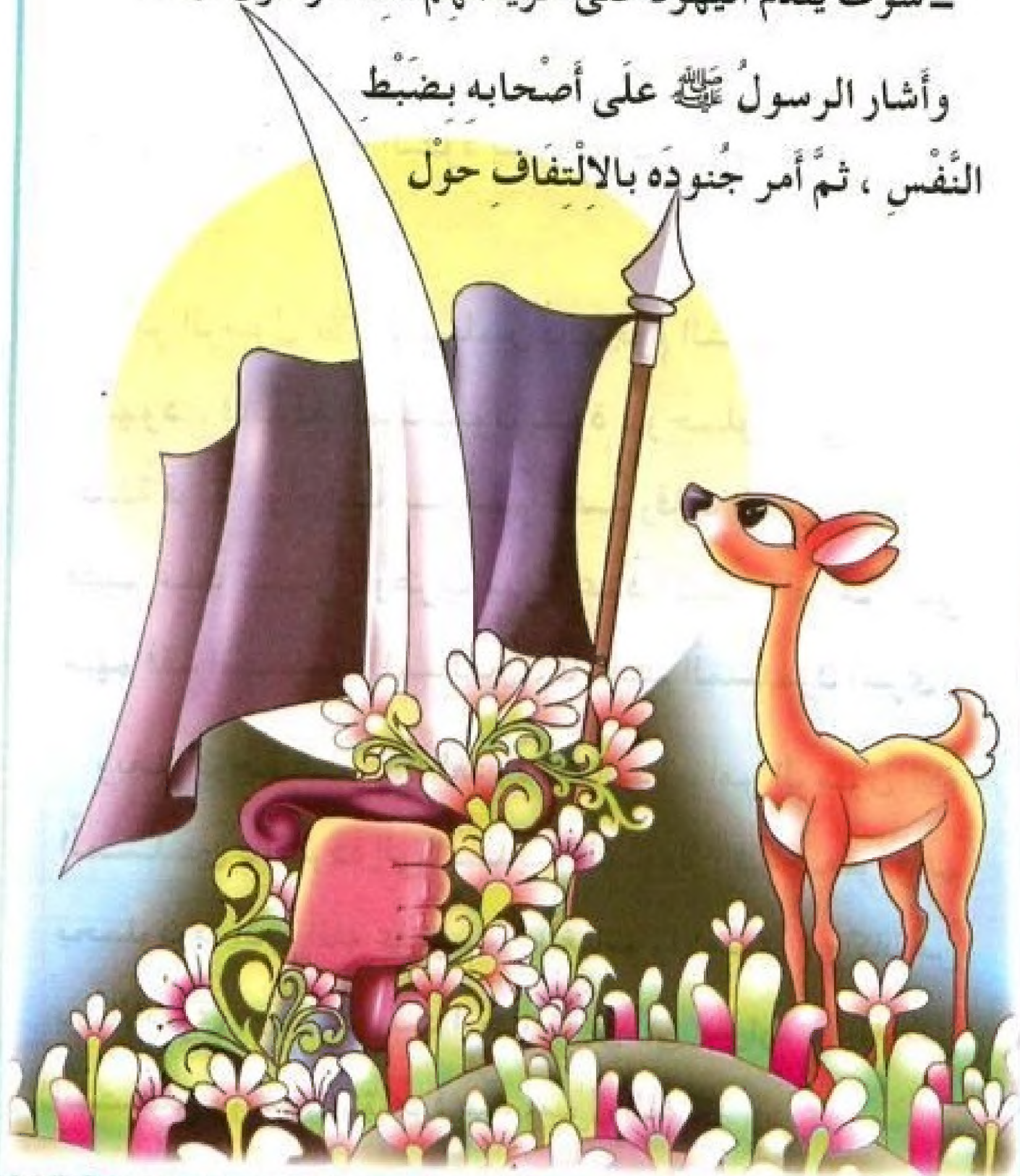
فقد وضع يهود بني المصطلق خطة لاغتيال الرسول ﷺ ، برغم العهود التي كانت بينهم وبينه ، وعلم الرسول ﷺ بذلك ، فجمع أصحابه وأسرع في الخروج ، لكي يفاجئوا اليهود في أماكنهم .



وَتَجْمَعُ الصَّحَابَةَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَالْغَيْظُ يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ  
بِسَبَبِ غَدْرِ الْيَهُودِ ، وَقَالُوا :

— سَوْفَ يَنْدِمُ الْيَهُودُ عَلَى تَحْرِيزِهِمْ ضِدَّ الرَّسُولِ ﷺ .

وَأَشَارَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ بِضَبْطِ  
النَّفْسِ ، ثُمَّ أَمَرَ جُنُودَهُ بِالِاتِّفَافِ حَوْلَ





ماء «المريسيع» ، لكي يضمن المسلمون وجود الماء ، وفرض الحصار على يهود «بنى المصطلق» ، لكي يستسلموا له ، وراح يهود بنى المصطلق يقذفون المسلمين بنبالهم ولكن دون جدوى ، فقد كانت نبالهم لا تصيب أهدافها ، بينما راح اليهود يتساقطون أمام سهام المسلمين المتتالية .

وأمر الرسول ﷺ المسلمين بالهجوم الشامل على قواعد اليهود ، فاندفع المسلمون بقوة ، وحملوا على الأعداء حملة قوية ، وأخذت سيوفهم تحصد رقاب اليهود ، فمات منهم عدد كبير ، وهرب منهم عدد أكبر ، أما من بقي منهم فقد استسلموا للمسلمين ، فأخذهم المسلمون أسرى .

وبعد أن حققت هذه الغزوة أهدافها ، أمر الرسول ﷺ المسلمين بالعودة إلى المدينة المنورة ، فرجعوا وهم يحملون ما أنعم الله عليهم من الغنائم والأسرى ، وكان من بين الأسرى «جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار» ، قائد بنى المصطلق وزعيم المؤامرة ضد رسول الله ﷺ .



وَأَخَذَ كُلُّ مُسْلِمٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالْأَسْرَى ، فَوَقَعَتْ  
«جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ» فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ ، فَطَلَبَتْ  
مِنْهُ أَنْ يَفْدِيَهَا بِالْمَالِ وَيَتْرُكَهَا حُرَّةً لَوَجْهِ اللَّهِ ، لَكِنْ ثَابِتُ  
ابْنِ قَيْسٍ اشْتَرَطَ عَلَيْهَا أَنْ تَدْفَعَ مَالاً كَثِيراً لِكَيْ تَفْدِيَ  
نَفْسَهَا ، بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّهَا ابْنَةُ زَعِيمِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ،  
فَعَجَزَتْ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ فَرَّ أَبُوهَا مَعَ الْفَارِسِينَ وَلَيْسَ مَعَهَا مِنْ  
الْمَالِ مَا تَفْدِي بِهِ نَفْسَهَا .





وسألت أسيرةً كانت معها في الأسر :

- ما العمل ؟ وهل أصبح أسيرة وأنا بنت زعيم بني  
المصطلق ؟

ف قالت لها :

- اذهبي إلى محمد ، واعرضي عليه الأمر ، فقد يساعدك .  
وتعجبت جويرية من كلام جارتها وقالت في دهشة :

- كيف أذهب إلى محمد ، وأبى هو الذى قاد جموع  
اليهود ضده ؟

ف قالت لها :

- لن تندمى ، فإن قلب محمد لا يعرف الحقد أو الانتقام !  
وعملت جويرية بنت الحارث بمشورة صاحبها ،  
وذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت له :

- يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار  
سيد بني المصطلق ، وقد أصابنى من البلاء ما قد علمت ،  
فوقعت فى نصيب ثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسى .

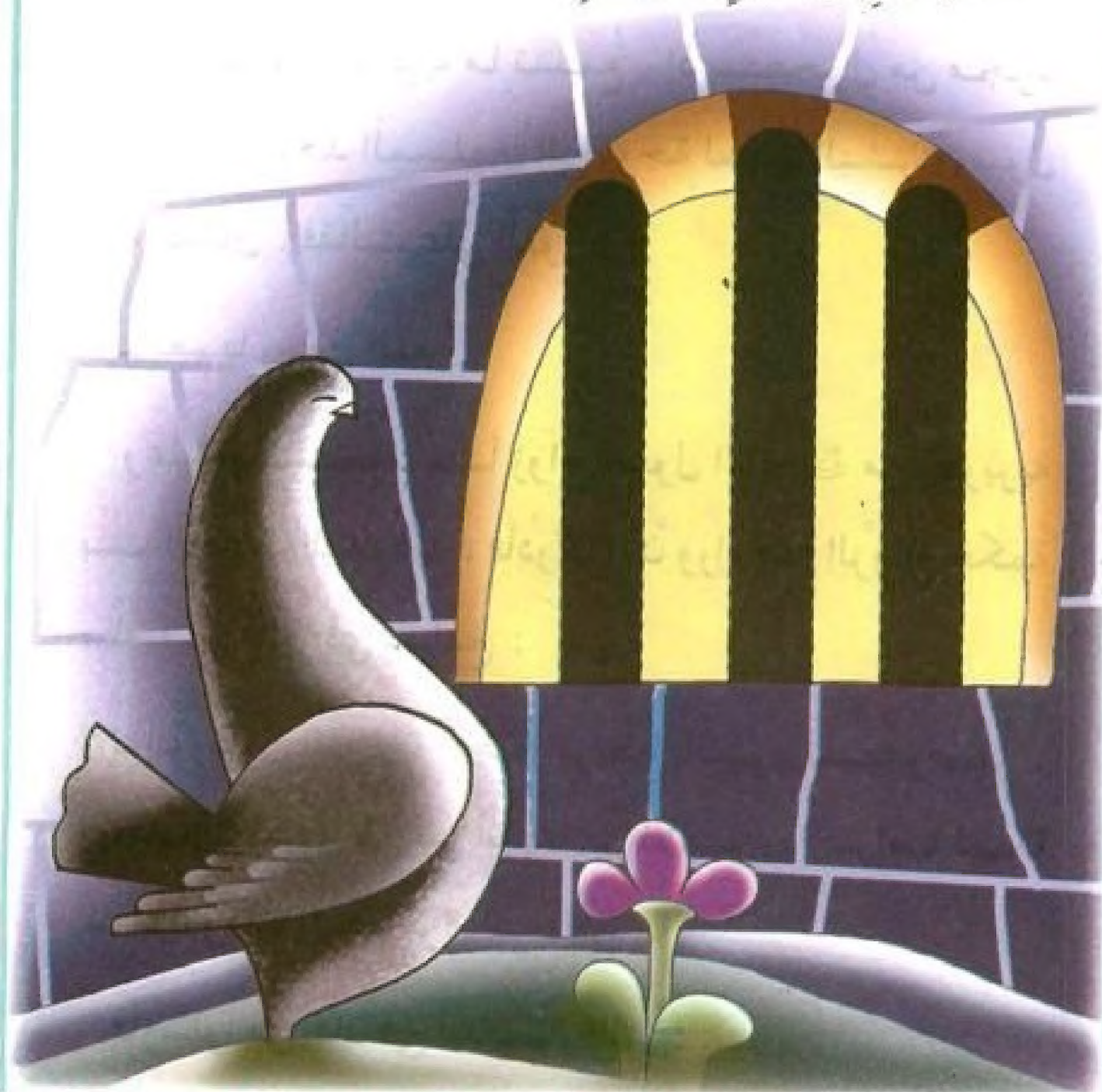


فَسَأَلَهَا الرَّسُولُ ﷺ عَمَّا تُرِيدُهُ كَيْ يَقْضِيَهُ لَهَا فَقَالَتْ :

— لَقَدْ جِئْتُ اسْتَعِينُ بِكَ لِتُدْفَعَهَا عَنِّي وَتُرَدَّ إِلَى حُرِّيَّتِي !

وَنَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :

۔ هل لك في خير مما طلبت ؟





فَقَالَتْ جُوَيْرِيَةُ :

- وما هو يا رسول الله ؟

فَقَالَ ﷺ :

- أَدْفَعِ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ !

وَلَمْ تَصَدِّقْ جُوَيْرِيَةُ مَا تَسْمَعُ ، إِذْ سَتَّحَوَّلَ مِنْ مُجَرَّدِ  
أَسِيرَةٍ عِنْدَ أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى زَوْجَةٍ لِسَيِّدِ الْبَشَرِ وَرَسُولِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَتْ عَلَى الْفَوْرِ :

- نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَعَلِمَ الْمُسْلِمُونَ بِنِجَاحِ زَوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جُوَيْرِيَةَ  
بِنْتِ الْحَارِثِ الْيَهُودِيَّةِ ، فَأَدْرَكُوا أَنَّ وَرَاءَ هَذَا الزَّوَاجِ حِكْمَةً  
سَامِيَةً ، وَقَالُوا فِي تَسَامُحٍ :

- إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، صَارَ يَرْبِطُهُ بِالْيَهُودِ نَسَبٌ وَصِهْرٌ ،  
وَيَجِبُ أَنْ نَطْلُقَ مَنْ فِي أَيْدِينَا مِنَ الْأَسْرَى إِكْرَامًا لِهَذَا  
النَّسَبِ وَهَذِهِ الْمَصَاهِرَةِ !

فَأَرْسَلُوا مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ وَقَالُوا :







ضربَ لَهُمُ الْمَثَلَ الْأَسْمَى فِي السَّمَاحَةِ وَضَبَطَ النَّفْسَ ،  
وما زالَ يطمعُ في هِدَايَتِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ .

ولذلكَ قالَ العلماءُ تعليقاً على هذا الزَّواجِ الْمُبَارَكِ :

- ما مِنْ امْرَأَةٍ كانتْ أَعْظَمَ بركةً على قومِها مِنْ جُوَيْرِيَةَ  
بنتِ الْحَارِثِ ، حيثُ أُعْتِقَ بزواجِها مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،  
أَهْلُ مائةِ بَيْتٍ مِنْ يَهُودِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ !

وبعدَ مَدَّةٍ طَلَبَ والدُ جُوَيْرِيَةَ الْأَمَانَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ  
فَأَعْطاهُ إِيَّاهُ ، فجاءَهُ وقالَ لَهُ :

- يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَصَبْتُمُ ابْنَتِي ، وهذا فِدائُها . فَإِنَّ ابْنَتِي  
لا يُسْبَى مِثْلُها !

فقالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- أَرَأَيْتَ إِنْ خَيْرَتَها ، أَلَيْسَ قَدْ أَحْسَنْتَ ؟  
فأجابَهُ الْحَارِثُ :

- بلى يا رَسُولَ اللَّهِ .

فأتى النَّبِيُّ ﷺ بجُوَيْرِيَةَ بنتِ الْحَارِثِ فسأَلها أَبوها :



يا بِنْتِي قَدْ جِئْتُ بِفِدَائِكَ ، فَهَلْ تَأْتِينَ مَعِيَ أَوْ تَبْقِينَ مَعِ

مُحَمَّدٌ ؟

فَقَالَتْ جَوِيرِيَّةُ :

لَقَدْ اخْتَرْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

وَبَهَرَتْ أَخْلَاقُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْحَارِثَ بْنَ ضَرَّارٍ حَيْثُ كَانَ  
بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَحْتَفِظَ بِابْنَتِهِ أَسِيرَةً عِنْدَهُ ، لَكِنَّهُ ﷺ حَرَّرَهَا





مِنَ الْأَسْرِ ، وَتَزَوَّجَهَا وَأَعَادَ إِلَيْهَا كَرَامَتَهَا ، وَجَعَلَهَا أُمًّا  
لِلْمُسْلِمِينَ ، شَأْنُهَا شَأْنُ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَزَيْنَبَ .

وَلَمْ يَلْبَثِ الْحَارِثُ طَوِيلًا حَتَّى دَخَلَ قَلْبُهُ الْإِسْلَامَ ،  
فَقَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

— أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ !

وَمِنْذُ إِعْلَانِ هَذَا الزَّوْاجِ الْمُبَارَكِ ، صَارَتْ لِلْأَسْرَى مِنَ  
الْيَهُودِ حُرْمَةٌ لَدَى الْمُسْلِمِينَ ، فَهَمَّ وَإِنْ كَانُوا قَبْلَ هَذَا  
الزَّوْاجِ أَعْدَاءَ لِلرَّسُولِ ﷺ ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْبَحُوا أَصْهَارًا لَهُ ﷺ  
بِهَذَا الزَّوْاجِ ، وَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا تَمَّ هَذَا  
الزَّوْاجُ ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى سِعَةِ إِدْرَاكِهِ ﷺ ، وَحَسَنِ سِيَاسَتِهِ  
وَتَقْدِيرِهِ لِلْأُمُورِ ، فَقَدْ كَانَ هَذَا الزَّوْاجُ دَعْوَةً لِلْإِسْلَامِ بَيْنَ  
قَوْمٍ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْحَقْدِ وَالكَرَاهِيَةِ .

لَقَدْ خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ لِمَجَرَّدِ تَأْدِيبِ يَهُودِ بَنِي الْمُصْطَلَقِ ،  
وَلَمْ يَكُنْ يَرِيدُ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ ، فَأَعَانَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَنَصَرَهُ  
نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، لَكِنْ هَذَا النَّصْرُ ، لَمْ يَكُنْ هُوَ كُلُّ مَا يَرِيدُهُ  
الرَّسُولُ ﷺ ، بَلْ كَانَ يَطْمَعُ فِي انْتِصَارِ أَعْظَمِ مَنْ هَذَا ،



وهو انتصاره على هذه الأرواح الشريرة وغرس قيم الدين  
ومبادئه في نفوسهم .

إنه كان يريد تغيير واقع هؤلاء ، فيصبحوا جنداً من  
جنود الحق ، لا آلة عمياء تحركها الكراهية وبعث بها  
الشیطان ، يريد أن تطهر قلوبهم ونفوسهم من هذا المكر  
وهذا الخبث ، ولذلك فقد خرج ﷺ ،





والأمل يحدوه في تحقيق ذلك ، وحقاً لقد أثمر زواج الرسول ﷺ النتيجة الطيبة التي كان يتمناها ، فقد تاب كثير من اليهود إلى رشدهم ، ونسي المسلمون كل ما سبق منهم ، فصفحوا عن ماضيهم وتسامحوا معهم .

وكان لهذا التسامح أكبر الأثر في نفوس اليهود ، حيث ظلوا متذكّرين لهذا الصنيع ، وهذا الموقف الإنساني النبيل ، فتغيرت نفوس كثير منهم .

وأرادت جويرية بنت الحارث \* أن تكفر عن ماضيها ، حيث كانت تعيش في ظلمات وضلال ، فراحت تكثر من العبادة وتتقرب إلى الله بصالح الأعمال ، فهي الآن زوجة لنبي كريم ، فما أحوجها إلى مزيد من الطاعة والعبادة حتى تكون جديرة بهذا الفضل .

ولذلك فقد كانت جويرية تقضي أكثر وقتها في الصلاة ، وقد مر بها الرسول ﷺ وهي قائمة تصلي في المسجد ، ثم مر عليها بعد فترة وقد انتصف النهار ، وهي ما تزال على هذا الحال ، فتعجب الرسول ﷺ وقال لها :



— ما زلتِ على ذلك !

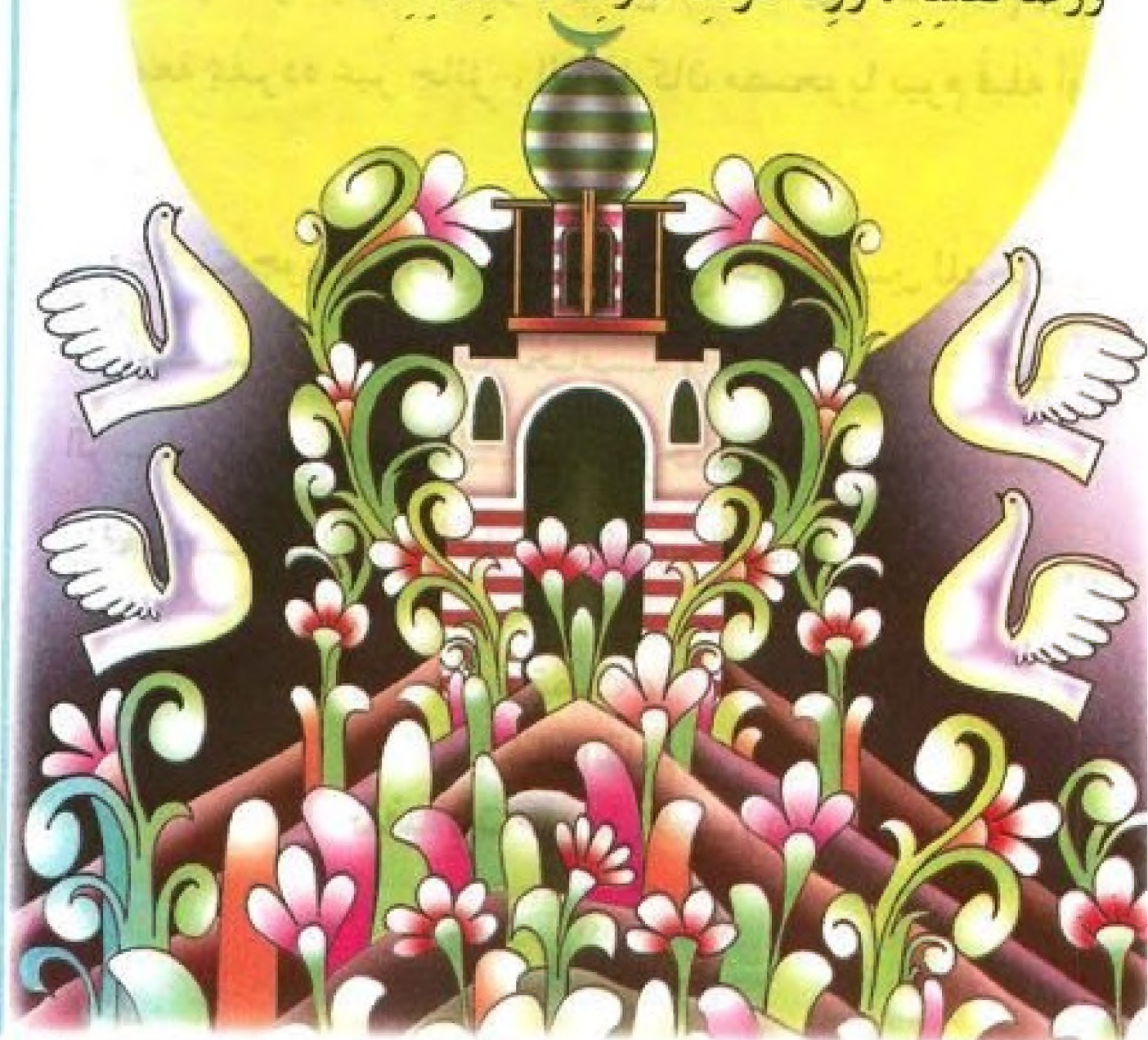
قالت :

— نعم .

فقال ﷺ :

— أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهِنَّ ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ عِدَدَ خَلْقِهِ ،

وَرِضًا نَفْسِهِ ، وَزِينَةً عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ !





فكانت جويرية (رضي الله عنها) لا تترك هذا الدعاء الذي علمها إياه الرسول ﷺ ، كما كانت جويرية كثيرة الصيام ، دخل عليها رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهي صائمة ، فقال : أَصُمْتَ أَمْسٍ ؟ قالت : لا . قال : فتصومين غداً ؟ قالت : لا . قال : فأفطري !

فعلمها الرسول ﷺ ، وعلم كل المسلمين ، أن صيام يوم الجمعة بمفرده غير جائز ، إلا إذا كان مصحوباً بيوم قبله أو بعده .

وعاشت جويرية (رضي الله عنها) حتى عام خمسين للهجرة ، وتوفيت عن عمر يقارب الخامسة والستين ، وقد تزوجها الرسول ﷺ في السنة السادسة ، رحمها الله رحمة واسعة ، ونفعنا بسيرتها ، وملاً قلوبنا بالنور والهداية !

(تمت)

الكتاب القادم

صفية بنت حيي بن أخطب (١)

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٦١٢١

الترقيم الدولي : ٠٠١ - ٢٦٦ - ٩٧٧